مجلة دراسات إسلامية رقم ISSN 1112-8011
المجلد : 15 العدد : 02 السنة : 2020 ص 227 – 246

سوسيولوجيا الهوية السلفية الدعوية في فلسطين ما بين الواقع والمتخيل

The Sociology of the Salafist Da'waIdentity in Palestine between Reality and Imagination

ميس خليل عودة *

جامعة الاستقلال ، فلسطين، maiss.odeh@hotmail.com

تاريخ الارسال : 2020/07/26	تاريخ القبول : 2020/11/06	تاريخ النشر : 2020/12/22

ملخص:

تكشف الدراسة عن الهوية السلفية الدعوية وما يترتب عليها من نتائج في تشخيص هذه الهوية عبر تبين الشخصية السلفية وتحققها على أرض الواقع سواء عبر شخصية الفرد أو المجموعة من خلال دراسة المجتمع السلفي الدعوي وعلاقته بأفراده والمجتمع الأكبر المحيط به.

تتأتى أهمية الدراسة من أهمية موضوعها والأهداف التي تسعى لتحقيقها، إذ تشكل الدراسة كشفاً لبيان سوسيولوجيا السلفية الدعوية في فلسطين، من خلال إماطة اللثام عن المجتمع السلفي، متخذة من السلفية الدعوية أنموذجاً للدراسة، وقد تجاوزت الدراسة الانطباعات السائدة لتركز على حقيقة النسيج الاجتماعي والثقافي والفكري لفهم السلفية الدعوية فهماً موضوعياً بعيداً عن التعصب والمغالاة، مستهدفة قراءة هذه الحركات كظاهرة اجتماعية، ثم قياس حجمها الحقيقي ومدى حضورها وسط الشرائح الاجتماعية، وقدرتها على الاستقطاب والتعبئة.

الكلمات المفتاحية: سوسيولوجيا، السلفية، الدعوة، الهوية

Abstract:

The study aimsto reveal the identity of the Salafi da'wa and its consequences on the Salafist community and its relationship with its members and the larger society surrounding it.The importance of the study stems from the importance of its subject and from its objectives that it seeks to achieve. The studyrevealed the Salafist communityda'awasociologyin Palestine through the uncovering of the Salafist da'awacommunity. The study exceeded

* المؤلف المرسل

the prevailing impressions to focus on the reality of the social, cultural and intellectual fabric in order to understand Salafist away from fanaticism and exaggeration.The study targetedthis movements to knowits real existence among the social strata, and their ability to polarize and mobilize.

Keywords: **Sociology**, **Salafist**, **Da'wa**, **Identit**.

مقدمة:

شهدت الحركات السلفية في فلسطين طفرة قوية خلال العقود الماضية بالرغم من وجودها سابقاً، إلا أن تحولاً كبيراً طرأ أدى إلى مشاركتهم في الشؤون السياسية والاجتماعية، فالمشهد السلفي متغير ومتحرك على صعيد المبادئ والأفكار والممارسة السياسية والاجتماعية، مما أدى إلى تكون أجندة جديدة ذات هوية خاصة تُعنى بالرجوع إلى المصادر الأولى للشريعة الإسلامية، ومقاومة البدع التي لا توافق أصول العقيدة." إذ إن السلفية الدعوية هدفها الرئيسي هو دعوة المسلمين إلى معرفة دينهم والابتعاد بهم عن كل خطأ، أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ." [1]

تعد السلفية الدعوية بمثابة النهج الوسط بين مختلف أنواع الاتجاهات السلفية، وهي أقدرها على التكيف والمواجهة، وهي مرفأ الأمان التي يحمي من جوانب كثيرة من الخطأ والتجاوزات فهي تكتسب بوصفها المتوازن قدرة أكبر على البقاء والانتشار والتأثر دون أن تتهم بالمهادنة أو التهور، فهي حركة نقد للإنقاذ شملت الفكر التاريخي والسلوك الفردي والعلاقات المجتمعية، فمشروعها تشذيب الأغصان لتعود الحياة للجذور.

تشكل الهوية السلفية جملة من الرهانات التي يتداخل فيها الديني والاجتماعي وهي مسرح لتشكيل قيم ومعايير مرنة؛ لتجاوز مآسي الواقع وإعادة الاعتبار للذوات التي أصبحت تعيش على هامش المجتمع، لقد اتخذت السلفية من الهوية آلية دفاعية لمواجهة الأخطار المنتشرة التي أصابت المجتمعات العربية والمسلمة كالعولمة وتحديات الحداثة، والتي تشكل خطراً حقيقياً يعكر صفو المجتمع وأمنه واستقراره.

كما تلعب الهوية السلفية دوراً بارزاً في تعزيز أواصر الانتماء بين الأفراد مما يخلق وعياً اتجاه الجماعة، ويؤثر الوعي بالهوية وبانتماء الأفراد إلى الجماعة في سلوك الفرد والجماعة كلها، ويحدد دورهما الحضاري والإنساني المتميز [2]، وعليه لا قيمة للخصائص المميزة للجماعة أو المجتمع دون وعي أفراده بتلك الخصائص وانتمائهم له، ولا قيمة لذلك الوعي إذا لم يتحول إلى قوة تحمل الأفراد على العمل والقيام بأدوار متميزة.

وبناءً على المنحى الذي أخذته السلفية على أرض الواقع في العالم العربي والإسلامي يمكن الحديث عن جماعتين سلفيتين أساسيتين في فلسطين: السلفية الدعوية، وهي منتشرة في الضفة الغربية وقطاع غزة وظهرت منذ ثمانينيات القرن الماضي، والسلفية الجهادية وهي موجودة في غزة فقط، وظهرت في السنوات الخمس الأخيرة فقط، وسيتناول البحث دراسة السلفية الدعوية من حيث البنية السوسيولوجية التي ساهمت في تشكل الهوية الفردية والجماعية للسلفية.

لقد اكتفت السلفية الدعوية بالعمل في المجال الخيري والإغاثي والدعوي، تاركة المجال العام مفتوحاً دونما الولوج في مجال السياسة، والاكتفاء بصيغة المجتمع المدني الإسلامي، دونما الاصطدام مع السلطة السياسية الحاكمة، أو التدخل في نشاطها أو سياساتها، وقد

أوضح الشيخ جهاد العايش – أحد أبرز رموز السلفية في فلسطين ورئيس مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية – أن أفكار السلفية الدعوية " قائمة على تحقيق مزيد من الحريات، وتطبيق شرع الله، وتنمية الأمتين العربية والإسلامية، وتحسين الوضع المعيشي وتحقيق رفاهية العيش، وأضاف الشيخ العايش إن هدفنا الأساسي الآن هو العمل على نشر الدين الإسلامي، وتحذير المسلمين من الفساد الذي يحاول الغرب توجيهه له من خلال القنوات الفضائية الفاسدة والمخدرات، وغيرها، من الأساليب التي تغيب عقول الناس." [3]

كما أوضح الشيخ نبيل نعيمي نائب رئيس جمعية القرآن والسنة في فلسطين، ورئيس جمعية بيت المقدس، بأنهم أصحاب نهج معتدل ووسطي وليسوا عناصر متطرفة أو أصحاب ذهنية تدعو إلى العنف، ويعتبرون من يمارس هذا العنف "تكفيريين"، وليسوا من دعاة الدعوة السلفية، وبعيدين كل البعد عن التعاليم والأخلاق الإسلامية التي تدعو إلى التسامح ونبذ العنف وإراقة الدماء. [4].

من الأسباب التي دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع بيان حقيقة المنهج السلفي الدعوي المستمد من معتقد السلف الصالح، وإظهار الصورة الحقيقية للسلفي بعيداً عن التشويه الذي لحق به وبيان حقيقة صلته بالإسلام الحنيف بعيداً عن الأكاذيب الباطلة التي لحقت به، بيان هوية الأنا السلفية ومدى تمازج الديني بالسياسي، وكيف يكون وضع الفرد داخل جماعة صغيرة ومدى ذوبان الفرد السلفي داخل جماعته، ومن الأسباب أيضاً قلة الأبحاث والدراسات التي تناولت الموضوع حيث إن أغلب الدراسات تركز على الجانب السياسي لذلك كانت الدراسة تركز على الجانب الدعوي والمواقف العلمية.

تتبع الدراسة المنهج الوصفي التحليلي من خلال وصف ظاهرة السلفية الدعوية في فلسطين للوصول إلى النتائج المرجوة، وقد توصلت الدراسة إلى أن السلفية الدعوية في فلسطين ليست ظاهرة طارئة، بل هي تيار قديم، وحركة دعوية تهدف إلى إحياء الدين وإصلاح المجتمع من خلال اتباع المنهج النابع من الكتاب والسنة، كما توصلت الدراسة إلى أن مفهوم السوسيولوجيا الدعوية في فلسطين قائم على علاقة التماهي بين هوية الفرد والجماعة، وعلاقة التمايز بين هوية الأنا والآخر، ولاستفصال المجمل السابق قسمت هذه الدراسة إلى عدة مباحث، على النحو الآتي:

المبحث الأول: السلفية الدعوية في فلسطين (النشأة والمبادئ).

المبحث الثاني: سوسيولوجيا الهوية الدعوية السلفية الدعوية في فلسطين.

- الهوية الفردية: صراع الشكل والمضمون.
- الهوية الجماعية: ما بين اتباع نهج النبوة ومعايشة الواقع المعاصر.

المبحث الثالث: الهوية السلفية الدعوية تحدٍّ ورهانات.

المبحث الرابع: آفاق السلفية في فلسطين.

السلفية الدعوية في فلسطين (النشأة والمبادئ)

السلفية الدعوية:

أصبحت السلفية من أبرز القضايا طرحاً على الساحة الدينية والفكرية والسياسية، لها أيديولوجية خاصة في الدين والسياسة فهي " مجموعة من المحاولات

العملية والعلمية الهادفة إلى الإصلاح والدعوة لا تكفي بالمخاطبة أو القول بل هي كل محاولة جادة من قول وفعل وتخطيط وحركة." [5].

وهم يقدمون على أنفسهم " على أنهم خط واحد ومتصل ومتسلسل انطلاقاً من زمن الصحابة مروراً بالتابعين كالإمام مالك وغيره وصولاً إلى ابن تيمية فمحمد بن عبد الوهاب ثم شيوخ السلفية المعاصرين كابن باز وغيره وقد ذهب بعضهم إلى حد كتابة قائمة بأسماء أهل السنة والجماعة والطائفة المنصورة من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا"[6]

موقفهم الديني: اتباع السلف الصالح" حيث لا بد أن تكون الفتوى نابعة من الكتاب والسنة كما وردت في إفهام الأجيال للإسلام." [7]، " يهدفون إلى إحياء الدعوة من خلال دعوة الناس إلى الالتزام بالإسلام الحق"[8]

موقفهم السياسي: تيار ديني يعمل دون التدخل في السياسة، لا يكفرون الأنظمة السياسية، بل يعترفون دون عنف، كإجراء لحفظ وجودهم وكينونتهم.

النشأة والمبادئ:

إن الحركة الوطنية الفلسطينية على مدار ثلاثة عقود كانت بقيادة الشيوخ وذات مضمون إسلامي، فكانت القضية الفلسطينية ممثلة برموز وقيادات إسلامية، ومحط إجماع لمعظم التيارات الإسلامية، ولكن تغير الاتجاه بعد الخامس عشر من أيار/ مايو 1948 بعد دخول فلسطين تحت الاحتلال الإسرائيلي فأصبحت تحت وصاية النظام العربي الرسمي فحصلت قطيعة بين القضية الفلسطينية ذات البعد الإسلامي لتتحول إلى قضية عربية ذات لواء قومي، فعلى مدار عقدي الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي كان الصراع على أشده بين النظام القومي والسلفيين، " فمن أراد أن ينخرط في المقاومة من الإسلاميين لا بد أن يعمل ضمن مظلة التحرير وفصائلها ولا سيما حركة فتح التي احتضنت بعض الشيوخ والمجموعات ذات الميول الإسلامية حيث كان من المحظور بناء تنظيم إسلامي وبرؤية إسلامية". [9].

في هذه الأثناء ظهر رائد السلفية الفلسطينية من منظور جديد، حيث دمج بين سلفية الأزهر(المصرية) ذات النزعة الوطنية، وبين سلفية السعودية الوهابية الداعية إلى التوحيد، **الشيخ سليم سالم سرحان شراب**، إذ كان له كثير من الأعمال الدعوية منها بناء المساجد الجديدة في الكثير من المناطق، كما قام بابتعاث الطلاب والطالبات وإرسالهم لدراسة الشريعة وأصول الدين والحديث، ناصر القضية الفلسطينية من خلال اشتراكه في المؤتمر العلمي للدعوة والدعاة الذي عقد في السعودية عام 1977م.[10]

وعلى نهج الشيخ سالم شراب سار عديد من الشيوخ، وفُتحت كثير من المراكز والجمعيات التي تنقل الفكر السلفي وهويته، وقد لاقت قبولاً ورواجاً، وإننا لن نفهم السلفية فهماً صحيحاً ومتكاملاً إذا لم ندرك الجهد الجبار الذي بذله رجالها لحمل جماهير المسلمين على استشراف المستقبل لأجل صنع الإنسان المسلم الجديد المتجدد الذي يسهم بدوره الفعال في إبراز الإسلام على حقيقته، لقد ارتكزت السلفية من خلال جهود رجالها على أربعة مراكز مهمة كانت لها عظيم الأثر في انتشار الفكر السلفي، وفيما يلي نبذة عن هذه الجمعيات وأهم المؤسسين:

أولاً: دار الكتاب والسنة:

تعود نشأة جمعية دار الكتاب والسنة لعام 1931م، إذ أسس بعض أهل العلم الشرعي تجمعاً شرعياً في خان يونس، واتخذوا من مسجد أهل السنة

مقراً منه لتوعية المجتمع المسلم وإصلاحه من البدع، وفي عام 1974م، جدد أهل السنة نشاطهم بتأسيس لجنة للزكاة والصدقات، بهدف التخفيف من معاناة الشعب الفلسطيني، إذ نشطت هذه اللجنة في تقديم كل أشكال الدعم للأسر المعوزة والفقيرة، واستمرت هذه اللجنة في نشاطها من قبو المسجد حتى عام 1986م، إذ تغير مبنى " سينما الحرية" وتم إحلال دار الكتاب والسنة محله وإقامة مكتبة عامة لخدمة الدارسين والباحثين في العلوم الإسلامية، وتم تكليف الشيخ عبد الله المصري بإدارتها[11].

وبذلك امتازت دار الكتاب والسنة بالوسطية، حيث حافظت على توازنها الدعوي وتركزت في المجال الذي خطته من اللحظة الأولى، وتعد أكبر جمعية سلفية من ناحية المؤسسات والأفراد، وأقدم جمعية دعوية تعمل في المجال الدعوي ولا تتطرق إلى القضايا السياسية.

ثم تشكلت سلفية متنوعة ومتباينة من حول سلفية سليم شراب المتمثلة في جمعية دار الكتاب والسنة – الجمعية الأم للسلفية الدعوية–، حيث ظهرت بعدها توجهات سلفية جديدة، مثل: جمعية المجلس العلمي للدعوة السلفية، وجمعية ابن باز، وشخصيات سلفية مستقلة كالشيخ حسن أبو شقرا والشيخ محمد أبو جامع والشيخ سليمان الداية[12].

ثانياً: المجلس العلمي للدعوة السلفية:

تأسس المجلس العلمي للدعوة السلفية بفلسطين عام 1994، وهو جمعية خيرية رئيسها **ياسين الأسطل**، ونائبه الشيخ **فؤاد أبو سعيد**، وقد تشكلت رؤيتهما لإصلاح الدين من خلال رفض تسييس الدين ونعم لتدين السياسة بالكلمة الطيبة، والنصيحة الهادفة وذلك "بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وتعليم الإسلام للناس خالصاً ربانياً كما أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، وجاءنا به خالياً من البدع والإضافات البشرية وعلى منهاج السلف الصالح رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين"[13].

ثالثاً: جمعية ابن باز الخيرية:

حملت جمعية ابن باز الخيرية الإسلامية هذا الاسم نسبة إلى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد بن باز، تأسست الجمعية في غزة عام 2000م، وتهدف إلى تبصير الناس بأمور دينهم وترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة، وما يتعلق بهما من العلوم ومحاربة البدع والخرافات.[14]، وبالمقارنة مع المجلس العلمي للدعوة السلفية نجد أنه يعمل على تضييق المسافة بين الدعوة والسياسة، ويتدخل في الشأن العام، في حين أن جمعية ابن باز تميزت بالحماس القوي والعنفوان الشبابي، فهي تطرح آراء راديكالية اتجاه العلمانيين والروافض على حد قولهم.

لقد تقاطعت هذه الجمعيات عند نقاط مشتركة، فكانت المبادئ واضحة، والأهداف ثابتة، لقد كانت الهوية واضحة وقد تمثلت بالآتي:

1- ترسيخ العقيدة السليمة المستمدة من الكتاب والسنة.

2- إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حماية للمجتمع ودفاعاً لعذاب الله.

3- نشر العلوم الشرعية والاهتمام بالقرآن والسنة وما يتعلق بهما من علوم.

4- محاربة البدع والخرافات التي راجت في القرون المتأخرة.

5- الابتعاد عن الغلو والتطرف والتعصب والتحزب السياسي.

6- بناء المساجد ورعاية حلقات القرآن.

7- تقديم الخدمات الاجتماعية والصحية والمساعدات الإغاثية غير الدورية والكفالات المالية.

أما على مستوى الجماعات الدعوية المنظمة ظهر التيار **السلفي المدخلي في فلسطين** بقيادة مجموعة من الطلاب الذين تلقوا العلم على يد كبار مشايخ ورموز التيار، مثل: "ربيع بن هادي المدخلي، ومحمد بن هادي المدخلي، وعبيد الجابري، وحسن مرزوق بن عبدالوهاب البنا، والشيخ هشام العارف، ورائد عبدالجبار المهداوي، وسعد بن فتحي بن سعيد الزعتري"، ومن أفكاره الإيمان بضرورة التغيير الناعم والمقاومة السلمية، عدم الخروج على الحاكم، وتحريم المشاركة في العملية السياسية، وتحريم الجهاد بالسلاح وغيرها[15]

من خلال استقراء السلفية الدعوية في فلسطين ممثلة بدعاتها وجمعياتها وعرض الإنجازات الدعوية لها يمكن استنتاج بعض ملامح تشكل هذه الجمعيات سوسيولوجياً، فمن خلال تشكلها نجد بأنها تلاقت عند بعض الأهداف واختلفت في أمور أخرى، إذ نجدها ليست مجرد حركة علمية تتركز في المساجد، وينحصر دورها في الخطب والدروس الدينية، وإنما حركة تغييرية إصلاحية، تهدف إلى الرجوع بالمجتمع إلى الإسلام الحنيف، من خلال عمل علمي ودعوي، كمالا يقتصر نشاط المجموعات السلفية على الدعوة إلى العودة للدين وتعليم الناس أمور الشريعة، بل مع ازدياد نشاطهم، بدأت بعض المؤسسات عندهم في تقديم خدمات تعليمية وطبية واجتماعية إلى جانب النشاط في كفالة الأيتام ورعاية المعوزين وإقامة المشاريع الاستثمارية.

لقد استفادت الجمعيات السلفية الدعوية من التناقض الكبير في الدولة حيث تمنع الدولة الحركات الإسلامية من ممارسة العمل السياسي بشكل طبيعي في الوقت الذي استمر فيه السماح لتيارات أخرى بالدعوة داخل المجتمع، وهذا التناقض استغلته السلفية الدعوية في فلسطين، حيث اشتغلت بكل حرية تحت شعار الابتعاد عن السياسة والالتزام بتعليم العلوم الشرعية، والإسهام في تربية النشء تربية دينية سلفية مما أعطى لعملها فعالية من حيث القدرة على التعبئة، فهم مستقلون يبتعدون تماماً عن الحديث في السياسة، يؤمنون بالتغيير القاعدي ويبتعدون عن النقاش السياسي والجدل الحزبي الدائر على أشده في الأراضي الفلسطينية، لاعتقادهم بأن الأمة ما زالت في مرحلة العودة إلى الدين، وأن الخلافات الحزبية القائمة، بين إسلامييها ووطنييها، لن يثمر إلا مزيداً من التراجع والفرقة، وتأخر الأمة عن تحقيق ريادتها للعالم.

ورغم أن السلفيين يستقون أفكارهم من المنبع نفسه "أهل الحديث" الشيوخ ابن باز وابن عثيمين والألباني (رحمهم الله)، إلا أن مؤسساتهم متعددة تفتقر إلى التنظيم الموحد، تجتمع في الأهداف العامة، وتختلف في بعض الجزيئيات، إذ يغلب عليهم التفرق لمجموعات يتبع كل منها شيخاً من المشايخ، مما أوجد تبايناً في مستويات الأداء ودرجة الفعالية، لذلك من الصعب اختزال وتقنين التيارات السلفية في فلسطين ضمن أطر محددة مضبوطة " فهناك حالة من السيولة والتداخل فيما بينها، إذ قامت بعض هذه الجمعيات على مبادرات فردية لا مؤسسية لا سيما بين قطاع غزة والضفة الغربية بسبب الاحتلال والانقسام الذي غيب التنظيم، لذلك عانت بعض المؤسسات من غياب التخطيط الاستراتيجي وتشويش الرؤية وعدم وضوح الأهداف الأمر الذي أدى بدوره إلى استغراقها في الجزيئات في الوقت الذي ينبغي أن يكون فيه تركيزها

على الكليات العامة والنظرة الشاملة وفقاً لعالمية الرسالة التي تعبر عنها.

سوسيولوجيا الهوية السلفية الدعوية في فلسطين:

تعد الهوية من الموضوعات التي تواجه العديد من الشعوب والمجتمعات، لقد اختلفت التعريفات باختلاف الدلالات وتنوعها وتطورت النظرة لمفهوم الهوية وأصبحت الهوية تعبر عن كيان يتغير ويتطور ويتفاعل إيجابيا أو سلبياً بالانفتاح أو الانغلاق والهوية بذلك " ما هي إلا منظومة متكاملة متطورة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تنطوي عادة على نسق من عمليات التكامل المعرفي، وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها." [16]

بصفة عامة، فإنه على الصعيد الفردي يمكن أن تجتمع في الشخص الواحد صفات تميزه عن الآخرين؛ حيث تتجسد عبر انتماءات ومكونات تتعلق بالجنس والعمر والطبقة الاجتماعية والموروث الثقافي[17]، أما على الصعيد الاجتماعي، فإن الهويَّة الاجتماعية هي معرفة الفرد أنه ينتمي إلى مجموعة أو فئة اجتماعية. والفئات الاجتماعية هي مجموعة من الأفراد الذين يحملون صفات اجتماعية مشتركة، أو يرون أنفسهم أعضاء في نفس الجماعة[18]؛ لذا فإن أية مجموعة بشرية لها هويَّة خاصة، لا تصان "إلا بأن يتمسك الشعب بثقافته التي ورثها عن أسلافه، أي في العقيدة وفي اللغة وفي الفن وفي الأدب وفي كثير من النظم الاجتماعية"[19]

إن النظرية السوسيولوجية قد تناولت علاقة الدين بالمجتمع، وهو ما يساعد على تفسير حدود هذه العلاقة، فالتيار السلفي يرى أن الدين هو الأساس الذي يجب أن يقوم عليه كل شيء في المجتمع، ويؤمنون بأسلمة المجتمع ككل، ويستخدمون الدين كعامل استقطاب، مما يعني أن التيار يسعى إلى جعل الدين نقطة ارتكاز ومحور أساسي في مشروعه، يتم من خلاله صناعة هوية خاصة داخل المجتمع من خلال تبني مجموعة من المحددات والشروط، وبذلك هي تتيح فرصة إلى كل من يرفض واقعه الاجتماعي إلى البحث عن هوية جديدة داخل هذه الجماعة من خلال أنماط معينة من السلوك يجعل الذاتية تنمو مع روح الجماعة لمواجهة الآخر أو الانخراط معه، ومن هنا تسعى الدراسة لمعرفة المعنى الحقيقي لكينونة السلفية النفسية والاجتماعية من خلال تصرفها وسلوكها الاجتماعي وما تطرحه من أفكار تعمل على تشكل علاقة الهوية الفردية بالهوية الجماعية وعلاقتهما مع هوية الآخر.

الهوية الفردية: صراع الشكل والمضمون

يركز التيار السلفي في فلسطين على الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 25-30 سنة؛ وذلك لأنهم يمثلون الحلقة الأقوى التي وجب التمسك بها، ففي مثل هذا العمر يكون الفرد مشروع استقطاب من عدة مدارس فكرية؛ لأنه من الناحية العلمية ترتسم ملامح الشخصية لدى الإنسان في مثل هذا السن فيصبح الشاب يبحث عن نموذج وفق بناء معين يحقق ذاته، وإذا عدنا إلى " الدعوة المحمدية فإن أغلب من تبنوا الإسلام في بدايته هم الشباب بالإضافة إلى الموالي والعبيد خاصة الشباب يتوق دائما إلى المثل العليا وإلى ما هو أرقى عقدياً وأخلاقياً." [20]

وفي ظل التهميش الذي يعيشه معظم الشباب نجدهم يبحثون عن أطر يحققون فيها ذواتهم من خلال الانتماء إلى سياقات فكرية مختلفة ومخالفة تماماً للنسق الفكري والاجتماعي السائد، وهذا ما دفع السلفيون

إلى التزام السلفية للابتعاد عن عالم العوام والاقتراب من جماعة توازي شعوره بالاقتراب من الأصل أو المثال لاحتذائه ومحاكاته فيتمكن من رسم هوية خاصة تميزه عن الآخرين، ومن هنا فإن للهوية الفردية مقومات يمكن إجمالها بما يلي:

1- **هوية المظهر العام:** يعد المظهر أحد المقومات الهوياتية المهمة للشباب السلفي باعتباره الآلية الأولى التي تحقق القبول والاعتراف داخل الجماعة السلفية، فاللباس الذي يميز السلفي " يعكس الفروق والاختلافات بين الأنا والآخر، وهو صورة تجلب الانتباه والاهتمام، ويقدم بالتالي صورة عن نفسه عبر اللباس وصورة عن نفسه عبر الآخرين"[21]، يعلن السلفي تحدٍّ للنسق الاجتماعي والثقافي السائد ويتخذ من لبساه طريقة تمنحه القدرة على البروز والتميز ولفت انتباه الآخر، إذ يتمكن من الإحساس بإنجاز هوية مختلفة يراها في ردود فعل الآخرين، رغبة في الخروج على المعتاد والمألوف، والبحث عن الغرابة والتميز، " إن الشاب السلفي من خلال لباسه، والذي هو في الحقيقة أحد التعبيرات الثقافية المجتمعية، يضبط سلوكه ليس بناء لمرجع شرعي صريح ووحيد الجانب وإنما بناء للمرجعية الثقافية للمتفاعل معه."[22]

2- **الهوية اللغوية:** الهوية اللغوية قوة داخلية تربط الفرد أو الجماعة بلغة بعينها، وهي شعور الانتماء إلى جماعة كلامية ووعيه بهذا الانتماء وبالعلاقة التي يربطه بلغة الجماعة، لقد ارتبط مفهوم الهوية منذ ظهوره بمصطلح اللغة، " فاللغة كانت ولا تزال أبرز علامات الوجود وأهم مظاهر التعبير عن الجماعة، واتفق معظم الدارسين في مختلف التخصصات أن اللغة من أهم العناصر المشكلة للهوية الاجتماعية (اثنية/وطنية/قومية)"[23].

لقد ارتكزت اللغة السلفية على لغة معيارية تحتكم إلى منظومة ترفض التغيير في أفق التجديد بناء على تطور مجريات واقع الحال الذي قد يطال السقف الأيدولوجي، إذ تعتمد اللغة السلفية في الكلام المحكي أو في الخطاب الديني الرسمي على النصوص التي تعتمد على القرآن والسنة كنصوص مرجعية، فاللغة السلفية تعيد توظيف الدين في أشكال محددة بدقة يعتبرها السلفيون ترجمة صحيحة للتعاليم الإسلامية الأصلية، وبذلك يشعر السلفي بتميزه على الآخر من خلال هويته اللغوية التي شكلت أساساً من بناء هويته الشخصية فيشعر بأنه " فاعل لغوي، بمعنى أنه يفعل باللغة وفيها، ويخلق عبر كلامه وأدائه عالماً ممكناً يسهم في إعادة إنتاج اللغة كبنية تفاضلية."[24]

لقد وجد السلفيون أن الازدواجية اللغوية ما بين اللغة الفصيحة والعامية (اللهجات) قد أضعفت الهوية اللغوية، مما أدى إلى ضعف الكفاية اللغوية في العربية الفصحى، لذلك سعى السلفيون إلى إظهار وتقوية هويتهم اللغوية الخاصة، وهو بلا شك مطلب شرعي مقبول؛ لأن اللغة إرث ثقافي وطني يجب حمايته من الاندثار، في هذا الخضم يسعى السلفيون إلى بناء لغة خاصة تتماشى معهم، ومقتدية بلغة السلف الصالح، فهم يستثمرون لغتهم من خلال تعديلها وشحنها بمصطلحات مقدسة لتناسب هويته التي تتخذ من الدين مرجعية للفعل الاجتماعي، ومن أمثلة ما يستخدمونه في ملفوظهم الشفوي:" أخي بالله "،" الأخوة"، " الله يبارك لك"...، إن التبادل اللساني لمصطلحات محددة بين الأفراد السلفيين يسهم في "خلق جديد وتوليد جديد للرابطة الاجتماعية"[25] بين الشاب السلفي وجماعته المرجعية، وبذلك يكون المشروع السوسيوثقافي يعتمد اللغة العربية

كأساس للدين، إذ ترفض السلفية المساس باللغة العربية خاصة أن العقل السلفي يعتبرها لغة قرآن، وهي بذلك أداة مقدسة في النظام السلفي.

3- **الهوية المكانية:** إن المكان هو فضاء تواصلي يمكّن السلفي من ممارسة نشاطه الدعوي بعيداً عن الاختلاط مع المجتمع، ليكون المكان بمثابة "حاجز مادي للحيلولة دون اقتحام فضائهم الشخصي"[26]، إذ يجتمع السلفيون في أماكن يناقشون الأسس الدينية والأمور الدعوية، ويعد المسجد أبرز الأماكن التي يجتمع فيها السلفيون لممارسة طقوسهم، إذ شكلت المساجد في الأراضي الفلسطينية قطاع غزة والضفة الغربية رموزاً حقيقية للهوية الدينية والاجتماعية لجمهور التيار السلفية في هذه المنطقة، وعمل السلفيون منذ بداية تحركهم لتشكيل مراكز تجمع ونقاط انطلاق، فقد استخدموا منابر المساجد ودور العبادة للتعبير عن آرائهم، وفي حال تم بناء تجمعات سكنية دون أن تتوفر على مساجد فإن ذلك يكون مدعاة لقيام السكان بالتعبئة لإنشاء مسجد يجمع شملهم ويعطي لتجمعهم هوية دينية." [27]، وقد يتكلف ذلك محسنون من غير سكان الحي، وهذا الأمر يشير إلى أهمية المسجد ودوره بالغ الأثر في نفس المتلقي، فالأفكار التي " يتلقاها الإنسان عن طريق المسجد يكون لها وقع في نفسه حيث تكتسب شيئاً من القدسية لأنها نابعة من المسجد الذي هو رمز الإسلام ولأنها أيضاً صادرة عن العلماء والدعاة الذين ينظر إليهم الناس على أنهم حملة الدين وحماة العقيدة." [28]

إن هذه الأطر تشكل مقومات بناء الهوية الفردية (الأنا)، لا سيما عند الشباب السلفي الذي يمثل فترة صياغة الأدوار المتوقعة حيث يحاول الشاب البحث عن معنى الوجود في الحياة من خلال ما يناسبه من الأهداف والأدوار والعلاقات الاجتماعية ذات المعنى، إلا أن هذه الأطر رغم تمايزها لا تمنح بصورتها المجردة الهوية الدينية إذ لا يكفي الالتزام بالشكل والغرق بقضايا " الجلباب والقميص واللحية والسلوك وآداب الاغتسال والوضوء وسنن النوم والتحدث والطعام." [29]، والتزام لغة معينة والبقاء في المساجد ودور العبادة لتشكيل هوية السلفي الفردية ظناً منه أن هذا الأمر هو الإسلام، وأن ما يفعله من هذه السلوكات هو الدعوة إلى المشروع الإسلامي، لذلك سعت السلفية الدعوية في فلسطين إلى فهم الواقع الفهم المتعقل حيث جمعت بين الشكل والمضمون في موازنة مقبولة دون تعسف أو تعصب لتنتج " عقلاً إسلامياً آخر، ثابتاً في الروح الإسلامية، متطوراً في تناول الواقع، مستغلاً مؤثراته وآلياته لصالح المشروع الذي يبشر به، والإنسان الذي يسعى لتحقيقه." [30]

الهوية الجماعية: ما بين اتباع نهج النبوة ومعايشة الواقع المعاصر:

إن تمحور السلفي حول ذاته وطموحه الشخصي يبدأ من حيث هو كشخص ثم يتسع للجماعة التي ينتمي إليها، إن الانتماء إلى المجموعة السلفية يساعد الفرد على الظهور ولفت انتباه الآخر الذي قام بإقصائه، إن اختلاف الهوية بين السلفي ومجتمعه أوجد نوعاً من التوتر والتنافر، فالسلفي يشعر بامتلاك الحقيقة والتزام الشرع الحقيقي، وينظر للآخر نظرة المعارض لشرع الله فيعيش عالمين متناقضين عالم الجماعة وعالم المجتمع، مما يولد شعور الانتماء واللاانتماء، ففي الوقت الذي " تضعف فيه علاقات السلفيين مع الآخرين المختلفين معهم عقائدياً تقوى علاقاتهم فيما بينهم على أساس روحي وعقائدي، وبقدر ما يبتعد السلفي عن قيم مجتمعه بقدر ما يقترب من هويته الفرعية"[31]

لذلك حرصت السلفية الدعوية في فلسطين على رسم صورة واضحة للذوات الفردية كي تنصهر في بوتقة الدائرة الجماعية، فهي تحاول إيجاد عالم خاص بها عبر " تحالف بين نحن جماعاتية" [32] لا سيما في ظل الاحباطات الاجتماعية التي جعلتهم يتشبثون أكثر بالحركة السلفية لعلها تكون مخرجاً من وضعيتهم التهميشية، وقد اتبعت السلفية منهجية لحماية الأطر الجماعية فيها من خلال ما يلي:

1- التزام العقيدة: العقيدة الصحيحة التي يُقتدى فيها بالسلف الصالح هي رأس الأمر وعموده في كل دعوة لتجديد أمر هذا الدين وإنهاض أمته، فليس كل رجوع إلى الأصل رجعية مذمومة مثلما يدين به الفكر الغربي الذي يحذر الرجوع إلى سلطة الكهنوت والكنيسة...إن الأمر على العكس تماماً في دين الإسلام، فالرجوع إلى الأصل ينفي ما أفرخته الأهواء والأوهام والتقاليد على مرّ الأجيال وفي مختلف البيئات، ويعيد الدين غضّاً طريّاً مستمداً من ينبوعه الصافي من الأكدار، فالماضي بما يحمله من " أفكار وقيم هي التي تضفي معنى محدداً وتعطي مؤشرات إرشادية لتوجيه" [33] تفاعلات الشباب السلفي مع محيطه الاجتماعي فعودة الشباب إلى الماضي هو استلهام للمستقبل ، وما المطلوب إلا تقبل المجتمع لفكرة ثنائية الرجوع والتقدم لإحداث التغيير المطلوب.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار المعنى السوسيولوجي للممارسة التعبدية التي تمثل الترجمة الفعلية لانعكاس الالتزام العقائدي للجماعة السلفية، ندرك أن السلفية تتعدى كونها مجرد منهج في الاعتقاد، لتنطوي على مذهب اجتماعي يحاول من خلال عقيدته رسم صورة مجتمع آخر أساسه التضامن العقدي ساعياً إلى تحقيق مجتمع أهل السنة والجماعة.

2- اتباع الشيخ والأتباع: في ضوء الانتماء إلى السلف الصالح تعيش السلفية منهجية اتباع القدوة، فاتباع الشيخ يمثل الثقافة التنظيمية للتيار وذلك لتحقيق قيادة جماعية، فالاتصال المباشر بالشيخ يكسب الأعضاء العادات والتقاليد والاتجاهات والقيم التي يبثها تظيمهم، ويحمي الجماعة من خطر التفرق، فيصبح العمل الجماعي تسوده الوحدة والحكمة والخبرة العالية.

3- الالتزام بالثوابت: إن أهم ما يشكل الهوية الجماعية قوة التمسك بالثوابت مهما كانت الضغوط، ومن الجدير بالذكر أن الجماعة السلفية عليها الجمع بين الثابت والمتغير حتى تواكب التطور، فعليها الجمع بين ثوابت المنهج والتجديد والتطور دون الوصول إلى مرحلة الانشقاق أو الانفصال أو فقد الكفاءات الفكرية والدعوية التي تمتلك القدرة على التجديد والنهوض بالعمل الدعوي ليحل مكانهم أشخاص أقل كفاءة وقدرة على إدارة العمل الدعوي.

4- الالتزام بالوسطية لأنها منهج النبوة وفيصل التفرقة بين حدّ الاعتدال وطرفي الغلو والتسيب، تجمع بين متطلبات الدين وشؤون الدنيا من خلال الاستقامة في الاعتقاد والسلوك، وهذا ما فعلته السلفية الدعوية في فلسطين مما جنبها الوقوع في العنف والتطرف والإفراط والتفريط على خلاف نظيراتها من الجماعات الإسلامية المتطرفة.

5- الشمولية: تؤمن السلفية بشمولية الإسلام في العبادات والأخلاق والمعاملات وشؤون الحياة كلها، شمولاً يضم الفرد والمجتمع، الحاكم والمحكوم والحُكم، والدنيا والآخرة، والمصالح العاجلة والآجلة، في رؤية متكاملة لما يُسعد المسلم في دينه ودنياه.

6- الابتعاد عن السياسة: يعيش السلفيون الدعويون حالة تناقض اتجاه الجانب السياسي إذ إنهم مع وضد العملية السياسية، يعيشون حالة من اللامشاركة السياسية ويعتبرون مقاطعتها هدم من أجل إعادة البناء، يرفضون الخوض في المسائل السياسية ويعتبرونها مسائل دقيقة تحتاج إلى علم شرعي واسع" يعتمدون في ذلك على كتب التراث السني التي تحيط الشأن السياسي بنوع من القداسة بالإضافة إلى مواقف أهل العلم كما يسمونهم، خاصة في حكمهم على مسألة الديمقراطية واعتبارها كفرا واعتراضا على حكم الله." [34]، وفي لقاء مع الشيخ ياسين الأسطل – شيخ السلفيين في قطاع غزة- حول رأيه في الحكام العرب أظهر تأييده لرئيس السلطة الفلسطينية والملك الأردني يقول " نحن نرى في الحكام في الدول العربية حكاماً مسلمين وليسوا كفاراً. ولهذا ليس لنا مصلحة في تغييرهم بل إجراء حوار بروح الإسلام الذي يؤمنون به"[35].

7- تحسين المستوى التعليمي: حيث يتم إلزام الأفراد لتحسين مستواهم العلمي من خلال الدروس التوعوية للأعضاء، " وهي بذلك تسعى لأن يتخلى الفرد عن فردانيته ويتشبع بسلوك الجماعة حيث أن وجود الفرد، داخل الجماعات المرجعية يجعله يعمل على محاكات سلوك الآخرين فيها والعمل على مجاراة النمط السلوكي المقبول في تلك المرجعية." [36]، كما يتم استهداف الفئات المتعلمة ممن يمتازون بالقيادة حتى ينخرطوا في الحركة التعليمية ومحاكاة النمط السائد داخل الجماعة وتكوين القدرة على مخاطبة الآخر وإقناعه واستمالته في نهاية المطاف.

إن أطر الهوية الجماعية يجب أن تمزج بين الرجوع والانفتاح، فمن خلال الرجوع إلى الأصول الإسلامية رغبة في إعادة الاعتبار للتفكير والاجتهاد رأت أيضاً من واجبها الإقدام على الانفتاح على الحضارة الحديثة، فالرجوع إلى الأصول لم يكن يعني العودة إلى زمن الانحطاط بل الخروج إلى عصر الحداثة، إذ لم تسقط الهوية الجماعية في هوة " الاستنساخ التاريخي" [37]، من خلال استسلامهم للعقيدة والثوابت الإيمانية وإلغاء الواقع المعاش دون اجترار التاريخ؛ لأن إعادة التاريخ بشكلياته تعسف عليه وهو ما لا يلائم الروح الإسلامية والمنهج الإسلامي في التاريخ، لذلك امتازت الهوية السلفية الدعوية في فلسطين بالاعتدال والوعي التاريخي بعيدا عن التقوقع والتفتت والفرقية.

إن دراسة سوسيولوجيا الهوية بصورة عامة تكشف عن طبيعة العلاقة بين الفرد والجماعة، وعلاقة الجماعة مع الآخر، إن علاقة الفرد بالجماعة تعزز علاقة الوجود والانتماء الذي يضمن استمرار الجماعة فتشكل هوية الأنا بمعزل عن الجماعة يعرض الجماعة إلى التفكك والزوال، فالعلاقة هي علاقة تكامل وانتماء، فلا تتحقق هوية أحدهما إلا بالآخر، كما أن الجماعة لاتستمد كينونتها من ذاتها فقط بل من المفارق لها أي مما ينفصل عنها وليس فقط مما يتصل بها " ومن ثم لا معنى لمطلب الهوية بمعزل عن التميز والاختلاف اللذين يمثلهما الآخر، إذ تلعب المسافة بين الأنا والآخر دوراً في وعي الهوية، سواء في انغلاقها أو انفتاحها؛ إذ لا تتحقق للهوية توازنها من خلال الذات فقط، بل أيضاً من خلال الآخر." [38]

إن علاقة هوية الفرد بالجماعة علاقة تماهي، وعلاقة هوية الفرد والجماعة مع الآخر علاقة تمايز، إن التماهي إحدى الأوليات التي تؤدي إلى بناء الهوية، إذ تتشكل الهوية الفردية من خلال الأنماط السلوكية المطلوبة ثم تنصهر في بوتقة الجماعة من خلال الأداء الجماعي والتمظهر بسمت واحد، بحيث تصبح القيادة قيادة مركزية تفرض الرقابة المباشرة على الجماعة، وتتخذ جميع القرارات المهمة التي تحرص على ضمان الولاء للجماعة، ولا يعني هذا التماهي التمرد على الآخر، أو محاولة طمسه، كل ما يسعى إليه التماهي " الحفاظ على صفائه الذاتي وطهارته، والابتعاد عن كل ما من شأنه أن يلوث مسلماته العقدية والسلوكية "[39]، إن الهوية الجماعية ليست انشطاراً عن هوية الآخر، تعبيراً عن بعض مظاهر التحول السوسيولوجي الذي تشهده أنماط التدين في فلسطين، إذ تشكل الهوية السلفية محاولة لسد الفراغ ووسيلة لكي يسترجع الدين دوره المعياري عن طريق تمايزه على مواقع ومجالات التدين التقليدية، وعليه تمر العلاقة بين الذات والجماعة والآخر بثلاث مراحل هي:

1- مرحلة التميز، أي تمايز أفراد الجماعة عن الجماعات الأخرى، من خلال المعتقد والمظهر.

2- مرحلة التماهي في الجماعة، أي ذوبان الفرد في الجماعة وتقديم مصلحتها على مصلحته الذاتية.

3- مرحلة التقويم، وهي مرحلة متقدمة من التعصب لجماعة، حيث تظهر للأفراد قدراً من الشعور بالتعالي بالذات، على حساب الآخر. [40]

الهوية السلفية الدعوية تحدٍّ ورهانات:

تعاني السلفية في فلسطين من الصورة النمطية التي انطبعت في ذهن العامة، مما يعيق تقدمها بشكل كبير، فالسلفية عندهم تعني العنف الفكري، تكفير الآخر، إلغاء دور العقل، وغيرها...، لذلك تحتاج الهوية السلفية إلى الاعتراف من قبل الآخر، لأن " شخصاً أو جماعة ما ستعاني من ضرر حقيقي وتشويهٍ خطير إذا ما كوّن المجتمع المحيط بهم صورة مختزلة، أو مهينة عنهم ونقلها إليهم في الوقت ذاته." [41]، ورغم ما تتعرض له السلفية من هجمات من طرف خصومها إلا إنها تظهر نوعاً من المقاومة بهدف البقاء والاستمرار والتوسع والانتقال من حالة الهوية الفرعية إلى الهوية الأم داخل المجتمع.

ورغم هذه الصورة النمطية السائدة عند البعض، إلا أن المثقفين من الفلسطينين ممن يمتازون بالوعي الديني والسياسي والثقافي يدافعون عنهم ويتعاطفون معهم، ويرون أن هذه الصورة مشوهة بفضل الإعلام والتيارات السياسية المعارضة، ويعتبرون هذا التشويه مؤامرة لضرب الصحوة الإسلامية التي تعيشها البلاد.

بهذه السمات، نشأ التيار السلفي الفلسطيني، ونجح في استقطاب العشرات، بل المئات، من الفلسطينيين الذين عادوا إلى حضن الدين، وعباءة الإسلام، وغدا يشكل جزءاً أصيلاً وهاماً من ساحة العمل الإسلامي الفلسطيني، فقد نجح السلفيون في إيجاد شبكة من العلاقات الطيبة، والإيجابية مع مختلف شرائح الفلسطينيين، إلى ما قبل دخول العامل السياسي على الخط، مع انتشار ملموس وواضح للسلفيين في قطاع غزة تحديداً، سواء من خلال الفعاليات الدينية الجماهيرية، أو المناسك التعبدية التي تأخذ الطابع الشعبي، وتحشد الناس بصورة لم تعرفها الأوساط الفلسطينية من قبل.

آفاق السلفية في فلسطين:

إن الحركة السلفية في فلسطين لم تكن إلا تعبيراً عن رغبة المسلمين للعودة إلى سالف عزهم وحضارتهم، وأن

ينفضوا ما علق بهم من ركود وجمود لينطلقوا إلى بناء مستقبلهم، لقد مثلت السلفية في فلسطين حالة معاصرة لاقت حضوراً متميزاً في مختلف الحياة العربية ولم تعد غزواً دينياً –كما يعتقد البعض– بل أصبحت تمثل تياراً عريضاً له تراثه الفقهي والفكري والدعوي، فقد أثبتت السلفية أنها حركة لا تعيش في كنف الماضي فقط فهي تتخذ من الماضي نموذجاً لها لتنطلق صوب مستقبل واضح المعالم، فهي تجدد الصورة النموذجية الواضحة في السلف لتحقيق ما ترمي إليه من أهداف وتتوخاه من مقاصد وتتطلع إليه من غايات.

بقي أن نشير إلى أن هناك تطوراً واضحاً في صفوف التيار السلفي إذا ما قورن بالعقود الماضية، ووعياً متزايداً يبشر بارتفاع مستمر لمؤشر القياس، إذ يحظى الدعاة السلفيون برواج كبير في المجتمعات الإسلامية، فقد استطاعوا كسر الحواجز والوصول إلى الجماهير بسهولة مكتسبين الثقة والاحترام، إذ أصبحت الأيديولوجيا السلفية محل جاذبية كبيرة لأنها تعمل على إعادة عرض معتقدات الإسلام بشكل أكثر تبسيطاً، فهي مذهب ديني موجه لا إلى النخبة المتمكنة من وسائل التنظير والحجاج، وإنما إلى أناس في حاجة إلى عقيدة بسيطة بإمكانهم إدراكها بحسب إمكانياتهم الذاتية المحدودة.

فرغم الرؤية التي يراها الناس بها، أو القراءات المبتورة التي تعكسها لهم تبدو مشبوهة، أو تتجلى ذات عيوب ونقص، ورغم الزيغ الفكري والاعوجاج العقدي إلا أن الدعاة السلفيين التزموا بالسمت السلفي الإسلامي الذي قربهم من الجماهير بخلاف ما كان متوقعاً، وهذا يبشر بأن الدعوة السلفية باقية على محورها ومنطلقها متنورة مضيئة تهدي السبيل وتدل على الصراط المستقيم، تسير في مسارها سديدة متدفقة موفقة للهدى والنجاح والفوز والفلاح.

الخاتمة:

السلفية هي فلسفة استقبالية تأخذ من الماضي نموذجاً لتنطلق صوب مستقبل واضح المعالم، فقد وجدت السلفية الصورة النموذجية واضحة في السلف لتحقيق ما ترمي إليه من أهداف وتتوخاه من مقاصد وتتطلع إليه من غايات، إنها دعوة إلى الخصائص المتحكمة في شخصية الأمة لتجنيدها في انعاش الذاكرة التاريخية.

ليست الظاهرة السلفية في فلسطين بدعاً جديداً طارئاً نشأ خلال السنوات القليلة الأخيرة، وازداد تأثيرها في الأشهر المنصرمة، فالتيار السلفي قديم في الأراضي الفلسطينية، ومرتبط بقيام ما يعرف بـ "الصحوة الإسلامية" وانتشارها بين الشباب الفلسطيني، لاسيما وأنه اتجه بصورة متسارعة إلى الحركات الإسلامية "هروباً " من الانتكاسة التي أصيب بها التيار الوطني في أواسط الثمانينات.

إن الحركة السلفية في فلسطين بدأت حركة دعوية لإحياء الدين والإصلاح الاجتماعي، ثم استطاعت أن تجمع بين ماضي السلف الصالح وتمثل مشروع الحداثة الإنسانية، من خلال اتباع المنهج النابع من الكتاب والسنة، فقد كانوا ينهلون من معينها مستعينين على فهمها بكلام السلف الصالح عليهم رحمة الله.

لقد كشفت الهوية السلفية الفردية والجماعية عن جملة رهانات تداخل فيها الديني والاجتماعي في محاولة لإعادة اعتبار الذات السلفية التي تعيش على هامش المجتمع ، وتشكيل الإطار الجماعي الذي يسعى لبناء نظام خاص يسعى للحراك والتغير الاجتماعي من خلال توظيف الدين بشكل تطويعي ليكون رأسمالاً

رمزياً يمكن السلفيين من اكتساب مكانة في الخارطة الاجتماعية.

إن المفهوم السوسيولوجي للهوية الجماعية قائم على تعريف وتمثل الجماعات لنفسها من خلال ما تقيمه من روابط داخلية وعلاقات خارجية بما يتناسب مع ضرورة وجودها، أما سوسيولوجيا الهوية الفردية فهي قائمة على الوعي الذي يميز الأفراد عن بعضهم البعض فيجعلهم كياناً متمايزاً عن باقي الأفراد.

من مفارقات الهوية أنها لا تستمد كينونتها من ذاتها فقط، بل من المفارق لها أي مما ينفصل عنها وليس فقط مما يتصل بها، فالاختلاف هو شرط وجود المجتمع الإنساني برمته، وهو ضرورة للتماشي مع مقتضيات الصيرورة الاجتماعية.

إن الهوية الجماعية تولد من رحم عملية التفاعل الاجتماعي والثقافي بين أفراد المجتمع، لقد ساهم الشعور الجمعي والوعي بالذات في بلورة الهوية السلفية المتخيلة، والتي خلصت السلفي من الشعور بالفخر والضعف والدونية مما ساعد على الاندماج في جماعة واحدة تتشارك المصير والقيم والتقاليد، مما أبقى السلفية في فلسطين ثابتة أمام سياسات التذويب والانصهار وفي مواجهة الإقصاء والتهديد الدائم لوجوده.

وتوصي الدراسة بـ:

1- إنشاء رابطة أو منظمة تجمع الرموز السلفية الدعوية لتجاوز العوائق الراسخة بين التجمعات السلفية لنشر ثقافة التعاون والتنسيق.

2- الاهتمام بالأدبيات التي تتحدث عن الفكر السلفي لا سيما التي تراعي الحداثة والتطور وعدم الاعتماد على الدراسات التقليدية.

3- السعي الدؤوب لتخليص مفهوم السلفية من بعض المفاهيم الخاطئة والادعاءات الباطلة التي يلقيها البعض من المنتمين للجماعات المنحرفة فكرياً بغرض التشويه.

4- التحذير من بعض الناشئين الذين تعلقوا بالسلفية عن جهل، إذ التزموا التدين الحرفي بنصوص دون التأكد من مصادرها، وتسوروا منازل العلماء قبل الأوان فكانوا يفسدون أكثر مما يصلحون.

5- تشجيع الحوار بين السلفية والجماعات الإسلامية والوطنية، ومد الجسور بين المؤسسات السلفية والمؤسسات الرسمية، ومؤسسات المجتمع المحلي.

6- اعتماد خطاب سلفي معتدل بلغة العصر يهدف إلى استيعاب الرؤى والحقائق القائمة على العدل والمساواة، بغية الحصول على التغيير

7- ضرورة التعاون مع وسائل الإعلام بغرض إظهار الوجه الحقيقي المشرق للسلفية لا سيما وسط الشباب.

المراجع:

أولاً: المؤلفات:

1. إبراهيم الحيدي، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، بيروت، دار الساقي للنشر، ط1، 2015.

2. أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، الجزائر، دار الأمة للنشر والتوزيع، 1995.

3. أليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة د. علي وطفة، دمشق ، دار النشر الفرنسية، ط1، 1993 .

4. أنتوني غدنز، مقدمة في علم الاجتماع، ترجمة أحمد زايد وآخرون، القاهرة، مركز الدراسات والبحوث الاجتماعية، 2006.

5. بسّام بركة، فايز الصُيّاغ وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح،

الدوحة، قطر ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1،2013.

6. بومدين بوزيدي، الحركات الإسلامية من الفهم المغلق إلى أفق التجديد، الجزائر، دار قرطبة للنشر والتوزيع، ط1، 2012.

7. خالد شوكت، المشكلة التاريخية في عقلية المسلم المعاصر، العالم، لندن، 1992.

8. رول ميير، السلفية العالمية: الحركات السلفية المعاصرة في عالم متغير، محمد محمود التوبة، مقال برنارد هييكل، عن طبيعة الفكر والعمل السلفي، (89/61)، لبنان، الشبكة العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2014.

9. زكي نجيب محمود، في مفترق الطرق، القاهرة، دار الشروق، ط2، 1993.

10. ستيفن هابر، هابرماس والسوسيولوجيا، ترجمة محمد جديدي، ، الرباط، دار الأمان، ط1،2012.

11. ستيفان لكروا، سلطة الحديث في السلفية المعاصرة – قراءة في تأثير الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ومدرسته- ، ترجمة عومرية سلطاني، مصر، مراصد 6، مكتبة الاسكندرية، د.ت.

12. عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه و التاريخ، ط1، الدار البيضاء، دار الخطابي للطباعة والنشر، 1989.

13. علي الفقي، ثقافة التشدد: الخطب والمواعظ الدينية في المساجد المصرية، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، فبراير، 2008.

14. عبد الله البريدي، السلفية الشيعة والسنة، بحث في تأثيرها الاندماجي، لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط2، 2015.

15. علي حرب، أصنام النظرية وأطياف الحرية: نقد بورديو وتشومسكي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2010.

16. علي شريعتي، العودة إلى الذات، ترجمة إبراهيم الدسوقي الشتا، القاهرة، دار الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1986.

17. كلود ديبار، أزمة الهويّات، ترجمة رندة بعث، بيروت، المكتبة الشرقية، ط1، 2008.

18. ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، الكويت، عالم المعرفة، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،2013.

19. محمد الرؤوف القاسمي، التنظيمات المسجدية، دفاتر المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ملف الحركة الجمعوية في الجزائر الواقع والآفاق، تنسيق الزبير عروس، وهران، CRASC، رقم 13.

20. محمود الخالدي، الديمقراطية الغربية في ضوء الشريعة الإسلامية، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة ، 1986.

21. محمود شامل حسن، مرجعيات المرجعيات وأثرها في تقرير توجهات الأفراد، لبنان، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، 2010.

22. مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، قرة عين الأصحاب بمآثر ومناقب الشيخ سليم بن سالم شراب، القاهرة، دار الرسالة للنشر والتوزيع، 2016.

23. خليل علي حيدر، التصور السياسي لدولة الحركات الإسلامية، سلسلة محاضرات الإمارات 8، الإمارات العربية المتحدة، مركز الإمارات العربية المتحدة للدراسات والبحوث الاستراتيجية،2003.

24. هشام جعيط، في السيرة النبوية، تاريخية الدعوة المحمدية في مكة، ، لبنان، دار الطليعة، ط1، 2007.

ثانياً: المقالات:

1. السيد حافظ الأسود، صورة الآخر بين الثبات والتغير: دراسة أنثروبولوجية مقارنة لطلاب ينتمون إلى مجتمعين عربيين، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، مجلد 24، العدد1، 1996.

2. ثالثاً: المداخلات:

3. إبراهيم الحكيم، نحو خطاب دعوي معاصر ومتجدد، بحث مقدم إلى وزارة الأوقاف السودانية، الملتقى التنسيقي للوزراء المعنيين بالدعوة، ولاية كسلى، 2012، السودان.

4. عبد الباقي الهرماسي، علم الاجتماع الديني: المجال، المكاسب، التساؤلات، ورقة قدمت إلى ندوة " الدين في المجتمع العربي"، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،1990

- **روابط الانترنت :**

1. حسام الدين علي مجيد، إنبعاث ظاهرة الهويات: قراءة في منظور المفكر الكندي تشارلز تايلور،2015، على الرابط:

2. https://hekmah.org/%D8%AA%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%84%D8%B2-%D8%AA%D8%A7%D9%8A%D9%84/%D9%88%D8%B1

3. عبد الهادي ربيع، " مدخلية فلسطين" ...تيار سلفي يعادي حماس والإخوان والجهاد المسلح، المرجع، مركز دراسات وأبحاث استشرافية حول الإسلام الحركي، على الرابط: http://www.almarjie-paris.com/3412.

4. ماجد عزام، السلفية في فلسطين الخلفيات-الواقع-الآفاق2013، على الرابط الآتي:

1. http://samanews.ps/ar/post/15205/0

5. محمد الغيلاني، الهوية والاختلاف في قضايا الدين والمجتمع: الهوية هي الاختلاف، على الرابط:

6. https://www.mominoun.com/articles/%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AE%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%81-%D9%81%D9%8A-%D9%82%D8%B6%D8%A7%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%87%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AE%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%81-540

7. -موقع المجلس العلمي للدعوة السلفية على الرابط الآتي:

8. http://www.alelmy.ps/arabic/?action=receive_page&id=3

9. موقع جريدة الأخبار، العدد312 ، http://www.al-akhbar.com/node/139815

10. موقع جمعية ابن باز، http//www.jam-ibnbaz.com/Aboutus.aspx

11. موقع جمعية دار الكتاب والسنة http://www.daralsunna.com/news20.htm

12. موقع فلسطين اليوم، الحركة السلفية- فرع القدس- معاريف

13. https://paltoday.ps/ar/post/125959/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%83%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D9%81%D9%8A%D8%A9%D9%81%D8%B1%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%B3-%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D9%81

المراجع الأجنبية:

Jan E.Stets, Peter Burke : Identity Theory and Social Identity Theory, Social Psychological Quarterly, 2000, Vol.63, No.3.

الهوامش:

(1)انظر: رول ميير، السلفية العالمية: الحركات السلفية المعاصرة في عالم متغير، مقال برنارد هيكل، عن طبيعة الفكر والعمل السلفي، ترجمة محمد محمود التوبة، لبنان، الشبكة العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2014، ص231.

(2) انظر: بسام بركة، فايز الصُيّاغ وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، الدوحة، قطر ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1،2013 ،ص315- 316.

(3) ماجد عزام السلفية في فلسطين الخلفيات- الواقع – الآفاق،2013، http://samanews.ps/ar/post/152050/

(4) المرجع السابق.

(5) إبراهيم الحكيم، نحو خطاب دعوي معاصر ومتجدد، بحث مقدم إلى وزارة الأوقاف السودانية، الملتقى التنسيقي للوزراء المعنيين بالدعوة، ولاية كسلى، جمهورية السودان، 2012، ص30.

(6) بومدين بوزيدي، الحركات الإسلامية من الفهم المغلق إلى أفق التجديد، الجزائر، دار قرطبة للنشر والتوزيع، ط1، 2012، ص92.

(7) ستيفان لكروا، سلطة الحديث في السلفية المعاصرة، – قراءة في تأثير الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ومدرسته-، ترجمة عومرية سلطاني، مصر، مراصد 6، مكتبة الاسكندرية، د.ت، ص27.

(8) خليل علي حيدر، التصور السياسي لدولة الحركات الإسلامية، سلسلة محاضرات الإمارات 8، الإمارات العربية المتحدة، مركز الإمارات العربية المتحدة للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2003.

(9) الخزندار، دنيا الوطن، 2009.

(10) مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، قرة عين الأصحاب بمآثر ومناقب الشيخ سليم بن سالم شراب، دار الرسالة للنشر والتوزيع، القاهرة، انظر ص(134، 183، 237)، 2016.

(11) موقع جمعية دار الكتاب والسنة http://www.daralsunna.com/news20.htm

(12) موقع جريدة الأخبار، العدد 312، http://www.al-akhbar.com/node/139815

(13) موقع المجلس العلمي للدعوة السلفية بفلسطين على الرابط الآتي: http://www.alelmy.ps/arabic/?action=receive_page&id=3

(14) موقع جمعية ابن باز، http//www.jam-ibnbaz.com/Aboutus.aspx

(15) انظر: عبد الهادي ربيع، " مدخلية فلسطين" ...تيار سلفي يعادي حماس والإخوان والجهاد المسلح، المرجع، مركز دراسات وأبحاث استشرافية http://www.almarjie-paris.comحول الإسلام الحركي،

/3412.

([16]) أليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة د. علي وطفة، دمشق ، دار النشر الفرنسية، ط1، 1993ص76.

([17]) ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، الكويت، عالم المعرفة، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،2013، ص15.

([18]) Jan E.Stets, Peter Burke : Identity Theory and Social Identity Theory, Social Psychological Quarterly, 2000, Vol.63, No.3, Page 225

([19]) زكي نجيب محمود: في مفترق الطرق، القاهرة، دار الشروق، ط2، 1993، ص310.

([20]) هشام جعيط في السيرة النبوية، تاريخية الدعوة المحمدية في مكة، ، لبنان، دار الطليعة، 2007 ،ط1، ص204.

([21]) إبراهيم الحيدي، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، بيروت، دار الساقي للنشر، ط1، 2015، ص251.

([22]) السيد حافظ الأسود صورة الآخر بين الثبات والتغير: دراسة أنثروبولوجية مقارنة لطلاب ينتمون إلى مجتمعين عربيين، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، مجلد 24، العدد1، 1996، ص220.

([23]) أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، الجزائر، دار الأمة للنشر والتوزيع، 1995، ص73-75.

([24]) علي حرب، أصنام النظرية وأطياف الحرية: نقد بورديو وتشومسكي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2010، ص67.

([25]) ستيفن هابر، هابرماس والسوسيولوجيا، ترجمة محمد جديدي، ط1، الرباط، دار الأمان،2012، ص93.

([26]) أنتوني غدنز، مقدمة في علم الاجتماع، ترجمة: أحمد زايد وآخرون، القاهرة، مركز الدراسات والبحوث الاجتماعية ، 2006، ص175.

([27]) محمد الرؤوف القاسمي، التنظيمات المسجدية، دفاتر المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ملف الحركة الجمعوية في الجزائر الواقع والآفاق، تنسيق الزبير عروس، وهران، CRASC، رقم 13، 2005، ص100.

([28]) علي الفقي، ثقافة التشدد: الخطب والمواعظ الدينية في المساجد المصرية، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، فبراير، 2008، ص9.

([29]) علي شريعتي، العودة إلى الذات، ترجمة إبراهيم الدسوقي الشتا، القاهرة، دار الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1986، ص91 وما بعدها.

([30]) خالد شوكت، المشكلة التاريخية في عقلية المسلم المعاصر، لندن، العالم، 1992، ص36-37.

([31]) إبراهيم الحيدي، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، ص249.

([32]) كلود ديبار، أزمة الهويّات، ترجمة رندة بعث، المكتبة الشرقية، بيروت، ط1، 2008، ص100.

([33]) أنتوني غدنز، مقدمة في علم الاجتماع، ص82.

([34]) محمود الخالدي، الديمقراطية الغربية في ضوء الشريعة الإسلامية، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة، 1986، ص145-146.

([35]) موقع فلسطين اليوم، الحركة السلفية – فرع القدس- معاريف https://paltoday.ps/ar/post/125959/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%83%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D9%81%D9%8A%D8%A9%D9%81%D8%B1%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%B3-%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D9%81

([36]) محمود شامل حسن، مرجعيات المرجعيات وأثرها في تقرير توجهات الأفراد، لبنان، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، 2010، ص16.

([37]) انظر: عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه و التاريخ، الدار البيضاء، دار الخطابي للطباعة والنشر، ط1، 1989،ص198.

([38]) انظر: محمد الغيلاني، الهوية والاختلاف في قضايا الدين والمجتمع: الهوية هي الاختلاف، على الرابط:

https://www.mominoun.com/articles/%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AE%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%81-%D9%81%D9%8A-%D9%82%D8%B6%D8%A7%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%87%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AE

%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%81-540

([39]) عبد الباقي الهرماسي، علم الاجتماع الديني: المجال، المكاسب، التساؤلات، ورقة قدمت إلى ندوة " الدين في المجتمع العربي"، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1990، ص22.

([40]) عبد الله البريدي، السلفية الشيعة والسنة، بحث في تأثيرها الاندماجي، لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط2، 2015 ص60

([41]) انظر: حسام الدين علي مجيد، انبعاث ظاهرة الهويات: قراءة في منظور المفكر الكندي تشارلز تايلور،2015، على الرابط:

https://hekmah.org/%D8%AA%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%84%D8%B2-%D8%AA%D8%A7%D9%8A%D9%84%D9%88%D8%B1/